

## **FEATURES OF SHĪ'ISM IN THE LITERATURE OF MOAFFAQ AL -DĪN AḤMAD AL -BAKRĪ, KNOWN AL- KHWĀRIZMĪ (D. 568 AH/ 1172 CE)**

**Saleh ABBOUD<sup>1</sup>**

Dr, Marj Ibn Amer University College, Palestine

### **Abstract**

Akhṭab Khwārizim, Abū Al-Mo`ayyad Moaffaq al-Dīn Bin Aḥmad Bin Muḥammad al-Bakrī al-Makkī al- Khwārizmī (484-568 AH/ 1091-1172 AD), jurist, Ḥadīth, writer, author, preacher and poet, a scholar of origins, jurisprudence and confessions, knowing literature, good construction, has classifications and messages to Khwārizim, he took over the rhetoric of its mosque, and he is one of the Muslim scholars of his time.

The research is aspiring to follow the translation of the sermons of Khwārizim, focusing in its position and the topics of its separate poetic texts in literary and historical books, with a focus on monitoring the effect of his Shī'ism through poetic samples of his systems, and the research provides an analytical reading of those samples chosen up to a chapter on its dislocation and doctrine in that.

The article is distributed between a presentation of the biography of Khwārizim's speeches, a reading in examples of his poetry, an analysis of the effect of Shī'ism and a stand with his stylistic features, and the research ends with a conclusion that shows his most prominent conclusions and recommendations.

**Key words:** Shī'ism, Poetry Literature, Prose Literature, Preaching Khwārizim.

---

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.22.11>

<sup>1</sup>  [saleh3abboud@gmail.com](mailto:saleh3abboud@gmail.com)

## ملاحم التشيع في أدب موقق الدين أحمد البكري المعروف بالخوارزمي (ت. 568هـ / 1172م)

## صالح طه عبود

د، كلية مرج ابن عامر الجامعية، فلسطين

## الملخص

أخطب خوارزم، أبو المؤيد موقق الدين بن أحمد بن محمد البكري المكي الخوارزمي (484-568هـ / 1091-1172م)، فقيه، محدث، أديب، مؤلف، خطيب وشاعر، عالم بالأصول والفقه والخلافيات، عارف بالأدب، حسن الإنشاء، له مصنفات ورسائل، نسبته إلى خوارزم، وتولى الخطابة بجامعها، وهو من علماء المسلمين عصره، إذ جاب بلاد كالحجاز والعراق طلباً للعلم، ولقي العلماء الكبار وأخذ عنهم وأجاز لهم، وهو من فقهاء الحنفية. يصبو البحث إلى تتبع ترجمة أخطب خوارزم، والتركز في مكانته وموضوعات نصوصه الشعرية المتفرقة في الكتب الأدبية والتاريخية، مع التركيز على رصد أثر التشيع عنده من خلال عيّنات شعرية من نظمه، ويقدم البحث قراءة تحليلية لتلك العيّنات المختارة وصولاً إلى فصلٍ بشأن تشيعه ومذهبه في ذلك. يتوزع المقال بين عرض لسيرة أخطب خوارزم، فقراءة في نماذج من شعره، وتحليل لأثر التشيع فيه ووقفه مع ملامحه الأسلوبية، وينتهي البحث بخاتمة تعرض أبرز استنتاجاته وتوصياته. الكلمات المفتاحية: التشيع، أدب الشعر، أدب النثر، أخطب خوارزم.

## مقدمة:

فُتح إقليم خوارزم خلال خلافة عبد الملك بن مروان الأموي (البلاذري، 1983: 406-407)، ومنذئذ اعتنق غالب أهلها الإسلام؛ فاكسبت صبغةً إسلاميةً خلال تلك الحقبة التاريخية (حسن، 1972: 153-155). تأثرت خوارزم وأعلام فكرها وأدبها منذ عهد المأمون العباسي بالاعتزال، انسجاماً مع ميل العباسيين إليه، وتشهد مؤلفات علماء خوارزم على ذلك (ياقوت، 1997: 2: 255).

خضعت خوارزم لولاة خراسان في عهد الدولة الظاهرية (205-259هـ / 821-872م)، وقد أبقى الظاهريون خوارزم على تبعيتها السياسية والمذهبية للعباسيين، ومع نشوء الدولة السامانية فيها (260-395هـ / 873-1044م) ازدادت العناية بالعلم والأدب والصناعة والتجارة هنالك (المقدسي، 1987: 227). مرّت خوارزم بتحوّلاتٍ سياسية أدت إلى سيطرة الدولة الغزنوية عليها حتى نشوء دولة السلاجقة الترك (البيهقي، 1982: 736-745).

استطاع السلاجقة بعد انتصاراتٍ على الغزنويين تأسيس دولتهم الفتية عام 429هـ / 1037م (أبو النصر، 2001: 50-54)، وأخضعوا في عهد طغرل بك عام 434هـ / 1042م خوارزم؛ وتوالى سلطان السلاجقة في خوارزم مدّةً حتى نشوب خلافاتٍ بين شاهاتها (حمدي، د.ت.: 28-29).

## أخطب خوارزم

ولد الحافظ الموفق بن أحمد بن إسحاق بن المؤيد المكيّ الحنفيّ الملقّب بأخطب خوارزم والخوارزمي في خوارزم، غير أنّ المصادر التي ترجمت له لا تحدّد مكان ولادته، فخوارزم ناحية واسعة فيها مدنٌ وقريٌ وكورٌ كثيرةٌ، وقد ولد في حدود عام 484هـ / 1091م، ويبدو أنّه قد درس بدايةً في خوارزم، فكثير من شيوخه المترجم لهم من أهلها، ثمّ روي أنّه طاف في طلب الحديث بلاد فارس والعراق والحجاز ومصر والشّام، وكاتب العلماء فأجازهم وأجازوه.

تلمذ أخطب خوارزم على كثيرٍ من العلماء والشيوخ في علومٍ متنوّعةٍ، وقد عدّهم الشّيخ الأميمي في ترجمته له في تقديم كتاب المناقب (الخوارزمي، 1965: 17-20)، وله تلاميذ كثيرون من مشاهير العلماء وأهل الأدب.

لأخطب خوارزم مؤلّفات في الفضائل والتّاريخ والفقه والأدب، وقد نوّه المترجمون له أنّ معظم مؤلّفاته لم تصل، ومنها: مناقب الإمام أبي حنيفة (مطبوع)، ردّ الشّمس لأمر المؤمنين (لم يصل)، الأربعون في مناقب النبيّ الأمين ووصيته أمير المؤمنين (لم يصل)، كتاب قضايا أمير المؤمنين (لم يصل)، مقتل أمير المؤمنين أو المناقب (مطبوع)، مقتل الإمام الحسين بن عليّ (مطبوع)، المسانيد على البخاريّ (نسخة في مكتبة جامعة طهران)، ديوان شعر (لم يصل)، الكفاية في علم الإعراب (مخطوطة في جامعة طهران ونسخة في مكتبة مدرسة الفيضيّة بقم) (الأميي، 1967: 4: 402-403).

توفيّ أخطب خوارزم في الحادي عشر من صفر عام 568هـ / 1172م.

## النصّ الشعريّ عند أخطب خوارزم

ورد ذكر أخطب الخوارزمي ضمن الشعراء الذين جمعوا شعرهم في ديوانٍ، وقد أطلق عليه عند أهل التراجم: ديوان الموفق بن أحمد المكيّ الخوارزمي (خليفة، 1941: 1: 815).

تظهر مادّة شعر أخطب الخوارزمي المتفرّقة في كتب الأدب والتراث العربيّ ميله للشعر الدينيّ والمذهبيّ إلى حدّ ما، فالنصوص المنسوبة إلى ديوانه تعكس ميوله لأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب من جهةٍ، ولعليّ بن أبي طالبٍ من جهةٍ أخرى.

يميل أخطب في شعره إلى الأغراض الاجتماعيّة التقليديّة، إذ لا ينفرد بأغراضٍ شعريّةٍ مبتكرةٍ فريدةٍ، فمعظم ما وصل من شعره، وإن كان يمثّل جزءاً من إنتاجه لا كلّه، يعالج موضوعاتٍ محدّدةً تقليديّةً، لعلّ الغالب منها في المديح والفضائل كما ذكر آنفًا، فلقد أفرد كتاباً في خصائص أبي حنيفة، وسماه مناقب أبي حنيفة، وهو مطبوعٌ، يتضمّن موادّ ونصوصاً جلّها رواياتٌ تؤكّد فضل أبي حنيفة وتعرض نبذةً من سيرته ومكانته العلميّة والفقهية، وتعدّد صفاته وسلوكياته التي تجتمع على تقواه وورعه، كما ضمّن كتابه مقطوعاتٍ عديدةً تتّصل بالروايات المجموعة فيه، وكلّها مقطوعاتٌ ومنتفٌ تخدم الغرض الرئيسيّ أي مدح أبي حنيفة وإظهار مناقبه وفضائله.

تشهد همزيّته الآتية على منزلة أبي حنيفة عنده، إذ أبرز فيها بعض خصائص شخصيته وملامحه التي تقيض له سموّاً يسمو به فوق غيره، فهو الذي يلجأ إليه الناس من العامّة عند الخطوب، فيفجّ كربهم ويعينهم على النوائب، وهو النموذج البشريّ الأقرب للكمال لما اجتمع فيه من صفاتٍ ومناقبٍ تعكس تقواه وورعه ونقاء سيرته وإيمانه المنطوي على شخصيّة الإمام العارف التقيّ الزاهد الراغب عن الدنيا إلى الآخرة، وقد جاء في بعض أبياتها:

لله درّ أبي حنيفة إنّه فراج كلّ عزيمة عوصاء  
 قويت براجمه على أخذ التّقى في حالي السّراء والضّراء  
 في حلّه والعقد راقب ربّه لم يخش قطّ بوائق الخلفاء  
 قد هدّدوه في القضاء فلم يكن حتّى رموه بفتنة خشناه  
 صفرت يده ولم يجده مائلاً أحدًا إلى الصّفراء والحمراء

صلبت معاجم دينه في ردّها لله وهي مظنة الأعداء (الخوارزمي، 1965: 193؛ الكردي، 1981: 246)

ينفرد الإمام أبو حنيفة بكثيرٍ من الفضائل التي يعدّها أخطب خوارزم في قصيدته الهمزية المذكورة آنفًا، وقد صرح في سياقها بأنّ مناقبه لا تُحصى، فهي بكثرة عدد الحصا، وتلك بعض مبالغات الشاعر؛ توكيدًا على سمو مكانة الإمام عنده، فهو المقدم في نظره على غيره، وتدلّ الأبيات الآتية على ذلك:

لأبي حنيفة ذي الفخار مناقبٌ مثل الحصا جلّت عن الإحصاء  
 صفى الشريعة باجتهادٍ صائبٍ إذ عاف كلّ شريعة كدراء  
 أعلته همّة علمه حتّى اعتلى ظهر السّماك وغارب الجوزاء  
 وجدوه معتذرًا بلمحة فكره بزلاء كلّ شرودة عذراء

هبت رياح علومه فتبدّوا مثل الجراد بهبّة التّكباء (الخوارزمي، 1965: 164؛ الكردي، 1981: 231)

أخطب خوارزم مقطوعاتٍ غير كثيرةٍ في باب الحكمة والوعظ، وله في ذلك التفاتٌ إلى بعض القضايا القيمية والسلوكية التي تنسجم مع التعاليم الدينية والمسلك القويم في الآداب، ومن شعره في هذا الباب في فضل التّقوى على النّسب:

إلى التّقى فانتسب إن كنت منتسبًا فليس يجديك يومًا خالص النّسب  
 بلال الحبشيّ العبد فاق تقيّ أحرار صيّد قريشٍ صفوة العرب

غدا أبو لهبٍ يرمي إلى لهبٍ فيه غدت حطبًا حمالة الحطب (الخوارزمي، 1965: 12؛ الكردي، 1981: 1981)

(70)

يشير الشّاعر إلى معنى المساواة بين المؤمنين والمسلمين في إطار الانتماء للإسلام والدين، فعصبة الدّين تغلب عنده عصبة النّسب والدّم، موظفًا لذلك شخصيتين من تراث الدعوة الإسلامية، تنتمي إحدهما إلى فريق الإسلام والإيمان وتنتمي الثانية إلى فريق الكفر والجاهلية، والغالب أنّ أخطب قد نظم مثل تلك النماذج الوعظية الحكيمة في سياق خطبه المنبرية؛ تأكيدًا لمعانٍ قد انبرى لها خطيبًا أمام الأَشهاد، فاستثمر مادّة الشعر والنظم للتأثير في سامعيه وإقناعهم بأفكاره، وقد اختار لذلك نظمًا وشعرًا من نظمه هو، ولم يكتف باقتباساتٍ من نظم غيره وشعرهم.

بات من المعلوم من خلال الاطلاع على مقطوعاتٍ أخطب ميله للمقطوعات وذلك تطويغًا لاستخدامها وتوظيفها في خطبه، وبذلك يغلب على شعره النسق الوظيفي والنظم الهادف، فليس في شعره ما يدلّ على طابع الشعر الذاتي لذاته، فهو خطيبٌ ثمّ شاعرٌ، ولم ينظم أخطب خوارزم شعره مضاهاةً للشعراء، بل وشح به خطبه في مناسباتٍ تقتضي ذلك.

## خصائص الشعر عند أخطب خوارزم

ليس من اليسير الفصل في شأن النصوص الشعرية التي وصلتنا عن أخطب خوارزم، ويبدو أنّ بعضها منسوب له، وقد حال ضياع ديوانه المجموع قديمًا بيننا وبين تقييم ما يُنسب إليه، ورغم ذلك فإنّ الغالب في بنية ما يمكن الاطمئنان إليه من شعره يدلّ على البناء المرتبط بالمضمون من جانبٍ، والشكل الذي يجمع بين ترابط الأفكار المتصلة مع المحافظة على الوحدة الموضوعية للبيت، وذلك بانسجامٍ فيّ يراعي تقاليد الوزن والقافية والصنعة التي وظّفها فيه.

تغلب العاطفة الدينية في شعر أخطب خوارزم، فأعجابه الملحوظ بشخص الممدوح يدفعه إلى عدّ مناقبه وفضائله بطريقة تضمينية توثيقية واضحة؛ ممّا يجعل الصورة الشعرية عنده سريعةً وتقليديةً تخلو من الابتكار والتجديد.

يبدو واضحًا أنّ شعر أخطب خوارزم لا يزوّد القارئ بشيءٍ حول الشاعر، فليس في مقطوعاته تناولٌ لشخصه أو سيرته، بل نجد أنّ معظم ما وصل من شعره يدلّ بشكل مباشر على إعجابه بشخصياتٍ أخرى، ويبدو أنّ مردّه عدم أكثراته بنظم الشعر إلاّ من باب الاستئناس به في مناسباتٍ تلمّزه بذلك.

الغالب أنّ شعر أخطب خوارزم ليس إلاّ وسيلةً من وسائل تنميق خطابه المنبري لرفع مكانته الأدبية بين أقرانه، وتعزيز خطابه بما يخدمه ويسعف في إقناع المُخاطبين المتلقين، ولا سيّما في سياق الخطاب الوعظي والإرشادي الديني الذي يؤدّيه كخطيبٍ من أبرز خطباء بلده خوارزم.

تتميّز مطالع المقطوعات عند أخطب بالمباشرة في عرض الفكرة الرئيسية، ومردّد ذلك أنّ الشعر عنده لم يكن نظامًا منقطعًا عن السياق الخطابي بل دخوله فيه، ولقصر المقطوعات ما يبرز الاستهلال المباشر في مطالعه جميعًا، فليس ثمة مجالًا لمقدماتٍ غير مباشرة.

يكثّر في شعر أخطب الإلماع والتناصّ الأدبي، فيستعير في نظمه كثيرًا من الأفكار والنصوص المقتبسة ويضمّنها فيه، ويكثر ذلك فيما نظمه من مديحٍ في أهل البيت عامّةً وعليّ بن أبي طالبٍ على نحوٍ خاصّ، ومثال ذلك القطعة الآتية:

إنّ النّبيّ مدينةً لعلومه      وعليّ الهادي لها كالباب

لولا عليّ ما اهتدى في مشكلٍ عمرٌ ولا أبدى جواب صواب

قد نازع الطير النّبيّ وردّه      من ردّه فاصدق بغير كذاب (الخوارزمي، 1965: 288)

يمثّل كلّ بيتٍ ممّا تقدّم تناصًا لحديثٍ مقتبسٍ من أدب الحديث، فحديث مدينة العلم في البيت الأوّل، وحديث الطائر في البيت الأخير شاهدان على تناصّ يخدم الصورة الشعرية الموجودة في المقطوعة، والتي تصبو إلى عدّ فضائل الإمام عليّ، ومثل ذلك النموذج الجليّ للتناصّ عند أخطب متكرّرٌ وسائدٌ في كثيرٍ من مقطوعاته.

## اللغة والأسلوب عند أخطب

يفتقر شعر أخطب في بعض الأحيان للإحكام اللغوي والأسلوبي، فأسلوب المقطوعات والقصائد عنده، تبعًا لما وصل متفرّقًا منه، هو أسلوبٌ تقليديّ واضحٌ، يتبع فيه نهج السابقين، متضمّنًا كثيرًا من سمات نظمهم، فهو عنده تعبيرٌ أدبيّ عن المناسبة الاجتماعية أو الدينية، وقد لا تكون تعبيرًا حقيقيًا عن ذات الشاعر في بعض الأحيان، فتراه يلتفت في بعضها لذاته تصريحًا.

تتميز نصوص الشاعر بالجزالة المعتدلة في سوادها، غير أن بعضها يفتقر لذلك، كما يغلب على نظمه اعتماد صور شعرية متراصة تتوزك على وحدة موضوعية غير متشعبة، وع ذلك فثمة شواهد تظهر فيها نزعة للتصوير المبتور المتشعب أحياناً.

يفضل أخطب اللغة الجزلة والسهلة غير الممتنعة عن المتلقي، فهي مباشرة ومحددة يغلب فيها اللفظ الميسور، وفي أبياته ميل إلى الألفاظ الاشتقاقية، فلا نكاد تخلو مقطوعة من اشتقاقات سائغة تجعل البيت رشيماً مضبوط الإيقاع. يتميز شعر أخطب بضبط عروضي قريب من الإحكام، وهندسة إيقاعية تكشف رهافة حسه، وهو رغم ما يلحظ في بعض أبياته من زخافات خفيفة فإنه يبقى منسجماً مع العروض وقواعده، وقد مال أخطب إلى البحور القصيرة دون الطويلة، ووظف قوافي سائغة تقرب نظمه من ذائقة السامعين.

### التشيع في نظم أخطب الخوارزمي

يصرح أخطب الخوارزمي في كثير من نظمه بتفضيله علياً بن أبي طالب، ويعتبر ذلك ضمن ما ساد في عصره تشيعاً، وفي مقطوعاته ونصوصه الطويلة ما يشهد على صحة تشييعه بمعنى تفضيله علياً، فقد جاء في مقطوعة له:

إذا عمرٌ تخطى في جوابٍ      ونبته عليٌّ بالصواب

يقول بعد له لولا علي هلك هلك في ذاك الجواب (ابن شهر آشوب، 1959: 2: 32)

توثق القطعة خبراً تتناقله مصادر السنة والشيعه وفيه أن عمر بن الخطاب أخفق في إجابة بعض السائلين في أمور فقهية، فكان من علي بن أبي طالب أن تدخل وأجاب كل ذي مسألة عن مسألته، فبرز فقيهاً متفوقاً على الخليفة، وقد وظف الشيعة هذا الخبر توظيفاً شيعياً غايتهم إثبات حق علي في الخلافة وتفضيله على الخليفة عمر (الحلي، 1993: 60-64).

لقد حظي علي بن أبي طالب بمنزلة رفيعة في التراث الإسلامي لدى السنة والشيعة، وقد ورد في شعر أخطب أبيات تنسجم والبيتين المقتبسين آنفاً، ومنها قوله:

إن النبي مدينة لعلومه      وعلي الهادي لها كالباب (ابن شهر آشوب، 1959: 2: 35)

فهو تناص مكملاً لحديث مشهور في كتب الحديث والتراجم بطرق عديدة جاء فيه عن النبي: "أنا مدينة العلم وعلي بابها" (المفيد، 1995: 1: 33؛ الطبري، د.ت.: 77).

يصف أخطب في أبياته اليتيمة المتفرقة في كتب الشيعة بعض الأخبار المرتبطة بدور علي في الدعوة الإسلامية، تأكيداً لفضله المبكر الذي يقدمه على سائر الصحابة والخلفاء في عقيدتهم، ومن تلك الأخبار خبر حادثة اعتلاء علي فوق كتف النبي كي لتحطيم أصنام منصوبة في موضع ما، والخبر مذکور في كتب الشيعة والسنة (الحلي، 1993: 446-447؛ النسائي، 2000: 96-97)، فجاء بيت أخطب موثقاً إياه في قوله:

علي كاسر الأصنام لماً      علا كتف النبي بلا احتجاج (ابن شهر آشوب، 1959: 2: 139)

يوثق أخطب حادثة أخرى تثبت فضائل علي، بحديث "سد الأبواب" وهو عن زيد بن أرقم قال: "كان لنفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - أبواب شارع في المسجد. فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي". (ابن

حنبل، 1969: 4: 369؛ الحلي، 1993: 209)، ويرى المسلمون في هذا الحديث دليلاً على فضل عليّ، وقد نظم الشاعر بيته في ذلك، فقال:

فتح المبشّر مسجده له إذ سدّ عنه سائر الأبواب (ابن شهر آشوب، 1959: 2: 193)

بلغ عدد أبيات القصيدة البائية الأخيرة سبعة وأربعين بيتاً، وهي من أطول قصائده، وتشكّل نموذجاً للشعر العلويّ الشيعيّ التقليديّ، والذي يتركز في عدّ شمائل الإمام عليّ وخصائصه الدالة على تفوّقه وتفوّقه في كثيرٍ من المناسبات والأخبار المنقولة في سيرته الشيعيّة والسنيّة مع تباينها.

في بائيتة مطوّلة أخرى، يصل عدد أبياتها إلى ثمانية وثلاثين، يعدّ أخطب خوارزم مناقب عليّ بن أبي طالب، فيرتفع مستوى تشييعه فيها، وشاهد ذلك ما يلي وهي بعض من يفي مئونة الكلّ:

هل أبصرت عيناك في المحراب كأيّ ترابٍ من فتي محراب  
 لله درّ أبي ترابٍ إنّه أسد الحراب وزينة المحراب  
 إنّ الوصيّ أبا ترابٍ دسّ في بطن التراب جماجم الأتراب  
 إنّ الوصيّ ضميره لم ينسدل يوماً على الأحقاد للأصحاب  
 إنّ الوصيّ لمن علمتم لهبه متثبتٌ في مدحض الألباب

إنّ الوصيّ عن الفواحش معرّض ومعرّض لكتائب وكتاب (الخوارزمي، 1965: 287-288)

تشهد الأبيات الأخيرة على نموذج مغايرٍ لنسق القصيدة الشيعيّة عند أخطب، إذ يبلغ فيها من حيث الدلالة الجليّة حدّاً مذهبيّاً يتفق والعقيدة الشيعيّة الاثني عشرية في الإمام عليّ، فلفظة "الوصي" التي حضرت في أبياتٍ منها لازمةً استهلاليّةً تعكس ذلك، والمراد بها ما يذهب إليه الإماميّة؛ أنّ لكلّ نبيٍّ وصيّاً يحمل دوراً جوهريّاً في الدعوة والهداية والعلم والإمامة والحكم، فهو المتقلّد دور النبيّ في إقامة شعائر الدين، فعليّ بن أبي طالب خاتم الأوصياء، ذو منزلة رفيعة تجعله خير البشر بعد النبيّ لدى الشيعة، وهذا كلّه محلّ تنفيذ أهل السنّة والجماعة (Kohlberg, 1960: 161-162).

يظهر في القصيدة الأخيرة، التنويع بين تسمية عليّ باسمه وتسميته بلقبٍ بات معادلاً موضوعياً للمعتقد الشيعيّ في شخصيّته، ممّا يجعل هذا النصّ مختلفاً مغايراً عن سواه في توظيفه المعلن لموتيفات شيعيّة محوريّة، ولعلّ انحياز أخطب لآل البيت بطريقته الظاهرة في بعض النصوص المنسوبة إليه، يدلّل من جهة الشيعة ومصادرهم الناقلة لشعره، على كونه إماميّاً، ومن تلك النصوص نصٌّ لا يخلو من الضعف غير المعهود في أخطب، والذي ورد فيه قوله:

لقد تجمّع في الهادي أبي الحسن ما قد تفرّق في الأصحاب من حسن  
 ولم يكن في جميع النّاس من حسن ما كان في الصّبيغم العاديّ أبي الحسن  
 هل كان فيهم وإن تصدق حمدت به ما كان فيه من التّحقيق واللّسن  
 هل أودع الله إيّاهم وإن فضلوا ما أودع الله إيّاه من الرّكن  
 هل فيهم من له زوجٌ كفاطمة قل لا وإن مات غيظاً كلّ ذي إحن  
 هل فيهم من له في ولده ولدٌ مثل الحسين شهيد الطّفّ والحسن

هل فيهم من له عمُّ يؤازره	كمثل حمزة في أعمام ذي الرّمن
هل فيهم من له صنوّ يكافئه	كجعفر ذي المعالي الباسق الفنن
هل فيهم من تولّى خندقهم	قتال عمرو وعمرو خرّ للدّقن
هل فيهم يوم بدرٍ من لقي قدماً	قتل الوليد الهزبر الباسل الحزن
هل فيهم من رمى في حين سطوته	بباب خير لم يضعف ولم يهن
هل فيهم مشعر بالتّفس جنته	أكرم بمثمنه الغالي وبالثمن
تبّاً لباغيةٍ شاموا قواضبهم	لنصرهم آل حربٍ مصدر الفتن (الخوارزمي، 1965):

(292-291)

يعولّ أخطب في أبياته الأخيرة على أسرة عليّ تبريراً لعلوّ منزلته عنده، فأل البيت هم سادة الناس وأسماهم مكانةً في عُرفه، وقد وسّع أخطب دائرة آل البيت أكثر من حدودها في معتقد الإمامية، فيأتي على أسماء تدخل ضمن عائلة عليّ من جهة النّبّي ومن جهة أبيه وأعمامه، وهذا خارجٌ عن إجماع الشيعة الاثني عشرية القاضي أنّ آل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين ونسلهما، دون غيرهم من الناس وإن كانوا من آل أبي طالبٍ أو من عبد المطلب أو أعمّ، رغم أنّ فريق السنة والجماعة لا يدّخرون جهداً في توقيهم والذّب عنهم، لكن على غير مذهب الشيعة فيهم (-Sharon, 1986: 170).

تتبّى القصيدة الأخيرة في بعض مواضعها، رغم ما يعترها من بنيةٍ تعبيريةٍ ركيكةٍ وتصويرٍ شعريٍّ قاصرٍ، مذهب الشيعة في تفضيل عليّ والانتصار له، وخاصّةً من خلال الموازنة بينه وبين بني أمية، فموقف الشاعر منهم بيّنٌ جليّ، ممّا دفع ابن شهر آشوب المازندرانيّ إلى الاستشهاد بهذه القصيدة في سياق مفاضلته بين عليّ ومعاوية بن أبي سفيان وآل أمية، وهي مفاضلةٌ تراثيةٌ وجدت طريقها ميسوراً عند كثيرٍ من الإخباريين من الفريقين، ممّن اعتبرها حلقةً ضمن سلسلةٍ من الصراعات الممتدة بين الأُسرتين الفُرشيتين: هاشم وأمية (المقريزي، 1988).

يغلب في رأينا، أن تكون القصيدة مصحّفةً عن أخرى

يُشار إلى تغليبنا كون القصيدة الأخيرة منحولة ومصحّفة عن مقطوعة أخرى؛ ممّا يدلّ على قيام الشيعة بتحريف النصّ ملاءمةً لمذهبهم في شخصيّة عليّ ومواقفهم المبدئية من مناوئتهم (الكردي، 1981: 489-490).

تشهد مقطوعاتٌ ونصوصٌ منسوبةٌ من الشيعة لأخطب على صحّة اعتقاده بعقيدة الشيعة في الأئمة، ومن تلك النصوص المعتمدة على معيار الموازنة والمفاضلة بين الإمام عليّ وغيره النصّ الآتي:

إنّ عليّاً سيّد الأوصياء مولى أبي بكر ومولى عمر (ابن شهر آشوب، 1959: 3: 68)

تتبّى المقطوعة مفهوم الوصاية الشيعية في الصدر، فتعبير "سيّد الأوصياء" يسفر النقاب عن العقيدة الإمامية بشكلٍ مبديّ، فمذهب الشيعة قائمٌ على أنّ لكلّ نبيٍّ وصياً وأنّ عليّاً هو وصي النبي محمّد؛ فهو خاتم الأوصياء لخاتم الأنبياء (الحلي، 1993: 262-263)، كما يتضمّن العجز تضميناً لحديث مشهورٍ في أدبيات فضائل عليّ لدى الشيعة، مؤداه أنّ عليّاً هو مولى الخليفين المتقدمين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطّاب، والولاية في هذا السياق مدلول السيادة والأفضلية، فعليّ سيّدهما، وهو بذلك الأحقّ بالتقدّم عليهما في الخلافة والإمارة، وهذا جوهر مذهب الشيعة وأساس فكرهم السياسيّ



الذي وجّه تراثهم الأدبي والديني عبر العصور (المجلدي، 1983: 37: 236-239؛ الحلبي، 1993: 241-248)، مستندياً فيه إلى نصٍّ مشهورٍ باسم حديث غدير خمّ، وهو موضعٌ معلومٌ توقّف فيه النبيّ محمّدٌ خلال شخوصه من مكّة بعد أدائه مناسك حجّ الوداع وقبيل وفاته بقليل، وهناك دعا عليّاً وقال فيه: "من كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره" (الحلبي، 1993: 240-250؛ النسائي، 2000: 85-86).

### الخاتمة والاستنتاجات والتوصيات

يعتبر الخوارزمي المعروف بلقبه أخطب خوارزم شاعرًا بالإضافة إلى كونه خطيبًا مفوّهًا في عصره، وقد ضاع ديوانه الشعري؛ فلم تصلنا نصوصه الشعرية إلاّ مفترقةً بين كتب الأدب والأخبار والسير، وقد غلب عليها مديح شخصيتين هما: الإمام أبو حنيفة النعمان، والخليفة الرابع الإمام عليّ بن أبي طالب، وقد ساهمت تلك النصوص في الإقرار بميله لمذهب الأحناف في الفقه، كما مال بعضهم لاعتباره متشيّعًا تارةً وشيعيًا رافضيًا تارةً أخرى، وذلك بالاستناد إلى درجة تفضيله عليّاً، وهو معيار تقليديٌّ في الحكم على اعتقاد السلف.

يبدو أنّ ثمة أهميّة للتوقّف عند نصوص أخطب خوارزم الشعرية عند الكشف عن مذهبه إزاء الشيعة والتشيّع، وهو ما تقدّم في متن البحث، والذي توصل إلى استنتاجاتٍ أهمّها:

- دفع تأليف أخطب الخوارزمي مؤلفاتٍ تبرز تفضيل عليٍّ وأهل البيت الكثيرين لاعتباره شيعيًا تارةً ومتشيّعًا تارةً أخرى.
- كانت الخطابة التي امتنها الخوارزمي بجدارة جعلته مقدّمًا فيها، إحدى دوافع ميوله للإمام عليٍّ، فهو الشخصية الأكثر تفضيلاً عند أهل خوارزم في عصر أخطب، ويبدو أنّ الخوارزمي الخطيب قد استعان بقدرته الشعرية في تضمين خطبه ومواعظه بما يؤكّد انتصاره للإمام عليٍّ في مواجهة بعض التيارات المنتقصة من شخصيته ومكانته الإسلامية.
- أنّ الشيعة قد استثمروا مادة الشعر عند أخطب ووظفوها في كتبهم وتراثهم الأدبي والديني لإثبات مذهبهم في تفضيل عليٍّ والاستدلال على حقه في الإمامة والخلافة، بخلاف مذهب أهل السنة فيه.
- أنّ شعر أخطب خوارزم لا يخلو من التصحيف والتبديل بما يتلاءم وغايات التراث الشيعي الإمامي الداعي إلى إقرار مبدأ الوصية لعليّ بن أبي طالب بالنصّ الموجب والوصية معًا.
- يوصي البحث بضرورة تعقّب كلّ نصوص أخطب خوارزم النثرية والشعرية المتفرقة في كتب الأدب والتاريخ والتراث الديني عند السنة والشيعة؛ تحقّقًا من موقفه العقدي وانتماؤه للشيعة.

## ثبت المصادر والمراجع

- الأميني، ع. (1967). *الغدير في الكتاب والسنة والأدب*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- البلادري، أ. (1983). *فتوح البلدان*. بيروت: مكتبة الهلال.
- البيهقي، م. (1982). *تاريخ البيهقي*. ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت. بيروت: دار النهضة العربية.
- حسن، م. (1972). *الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحلي، ح. (1993). *كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين*. تحقيق: حسين الدركاهي. بيروت: دار المفيد.
- حمدي، ح. (د.ت). *الدولة الخوارزمية والمغول*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ابن حنبل، أ. (1969). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- خليفة، ع. (1941). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. إسطنبول: وكالة المعارف.
- الخوارزمي، م. (1965). *المناقب*. النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.
- الخوارزمي، م. (1981). *مناقب أبي حنيفة*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن شهر آشوب، م. (1959). *مناقب آل أبي طالب*. قم: مؤسسة العلامة للنشر.
- الطبري، أ. (د.ت). *ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى*. القاهرة: مطبعة السعادة.
- الكردي، ح. (1981). *مناقب أبي حنيفة*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- المجلسي، م. (1983). *بحار الأنوار*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المفيد، م. (1995). *الإرشاد في حجج الله على العباد*. تحقيق: مؤسسة آل البيت. بيروت: مؤسسة آل البيت.
- المقدسي، م. (1987). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المقريزي، أ. (1988). *النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم*. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف.
- النسائي، أ. (2000). *خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب*. تحقيق: الداني بن منير آل زهوي. بيروت: المكتبة العصرية.
- أبو النصر، م. (2001). *السلاجقة: تاريخهم السياسي والعسكري*. القاهرة: عين للدراسات والبحوث.
- ياقوت، ح. (1997). *معجم البلدان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- Kohlberg, E. (1960). "wasī". *The Encyclopaedia of Islam*. New Edition, 2, 161-162.
- Sharon, M. (1986). "Ahl al-Bayt: People of the House". *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 8, 169-184.